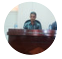
العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي 1550-1620م

1 author:



بلقاسم قرباش
Université Larbi Ben Mhidi

العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي1550-1620

الدكتور قرباش بلقاسم أستاذ محاضر جامعة معسكر، الجزائر.

لا تزال العلاقات الجزائرية الإنجليزية، غير مفهومة بالشكل الذي يساعد على فهم الوجود الجزائري في البحر المتوسط. ليس من المعقول دراسة التواجد الجزائري في المتوسط دون فهم العلاقات الانجليزية الجزائرية؛ علما أن الجزائر كانت مستقلة تماما فيما يخص المسائل الخارجية؛ وخاصة مع مطلع القرن السابع عشر.ولهذا أصبح لزاما على أي دولة أوربية عقد معاهدات مباشرة مع الجزائر، قبل التوجه نحو القسطنطينية. وأول دولة أوربية وقعت معاهدة سلم مع الجزائر مباشرة هي هولندا أوائل القرن السابع عشر، تلتها إنجلترا والدويلات الأوربية الصغيرة.

الكتابات الإنجليزية عن الجزائر 1540-1620: إن أول عمل تمت ترجمته إلى اللغة الانجليزية، يعود للسير توماس أحد أعضاء فرسان رودس، الذي شارك في الحملة شارلكان على الجزائر سنة 1541، وعنونت الرحلة بـ "رحلة السير توماس إلى الجزائر مع شارلكان1541".[1]ثم ظهرت رحلة السير أمبرواز1572 التي ضمت في فصلها الثاني مشاهدات عن شمال إفريقيا، ودعمها بخرائط[2].

ومن الكتابات التي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية خلال هذه الفترة نذكر: رحلة ليون الإفريقي التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية عن اللغة العربية، ثم إلى جميع اللغات الأوربية الحديثة. أما النسخة الإنجليزية فقد صدرت في لندن سنة 1600، تحت عنوان: بحث خاص عن كل الأراضي الأساسية والجزر، الموصوفة من قبل جون ليون

---

1 عنوانالترجمة: **The voyage of Sir Thomas Chaloner to Alger with Charles 5**.

2:عنوانالترجمة**Zeebout Ambroise,Chaplain and Companion of The Chev. Josse Van Ghistele, In his Voyage Inlanden ... Arabien, Egyptien, Ethiopien, Barbarien, &c.,Ghendt**.

(***Jhonleo***)،ملحقة بخريطة. وفي سنة **1599** صدر كتاب هوكلايت أفضل الكتب الوصفية للعالم الإسلامي، وأشهرها في ذلك العصر وقد احتوى الكتاب مجموعة رسائل مهمة عن الجزائر، ويعتبر من أوائل الأعمال البحرية التي تناولت العلاقات الإنجليزية مع العالم الاسلامي.[3]

إن إحدى أقدم الروايات المتعلقة بالجزائر تعود لريتشارد هاسليتون ***Richard Hasleton***،الذي أسر من قبل بحارة الجزائر سنة 1582،أثناء مروره برأس قاتي الواقع بالقرب من أ لميريا قادما من الشرق،حيث شاهد سفينتين تعود لبحارة الجزائر،كانتا قد تقدمتا من سفينتهم واشتبكت معها،ورغم أن ريتشارد طلب من قائد السفينة الانجليزية أن يكشف للجزائريين جواز السفر الإنجليزي؛ إلا أن القبطان رفض،وبعد اشتباكات استمرت ساعات طويلة اقتيد ريتشارد أسيرا إلى الجزائر أين بيع عند وصوله الميناء ب66 دابل. وقد وصف لنا مغامراته خلال فترة أسره وطريقة هروبه من الجزائر في إحدى السفن الراسية على شاطئ البحر.

وكان هاسليتون أسيرا في إسبانيا قبل أن يهرب ويجلب نحو الجزائر، وتعتبر روايته أول رواية إنجليزية كتبت عن الجزائر[4] سنة **1595**، فالأخير قضى فترة أسره في إسبانيا ثم الجزائر (**1582–1595**)، ونشرت روايته مرتين خلال سنة **1595**. بعد فراره من قبضة الإسبان وقدومه الجزائر، "قام أحد الشيوخ الجزائريين بمنحه الطعام والملجأ. ثم عمل فيما بعد كمدفعجي عن طيب خاطر (عكس ما صوره لنا واب***Webb*** الذي ادعى أنه أجبر على

---

[3] **Richard Hakluyt, The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over–land, South and south–East parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years... exc., 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599.**

[4] عنوان الرواية:**Strange and Wonderfull Happened to Richard Hasleton, Borne at Braintree in Essex, In his Ten Years, Travailes in manyForraine countries, A.I. William Barly.**

الخدمة)مع راتب محترم؛ وعرض عليه الدخول في الاسلام، فالجزائريون كانوا يتوقون لرؤيته مسلما؛ لكنهم لم يستعملوا التعذيب عكس ما كان يفعله الكاثوليكيين في إسبانيا لجعله كاثوليكيا ودفعه للتخلي عن مذهبه البروتسانتي".[5]

ويعتبر أول من طرح فكرة أن الغارات الجزائرية ضد السواحل الاسبانية، جاءت كرد فعل على الغارات الاسبانية ضد سواحل المغرب الاسلامي. تؤكد رواية هاسلتون ذلك الخوف الذي كان يبديه البروتستانتي الانجليزي، من وقوعه أسيرا في يد الاسبان أكثر من خوفه من وقوعه في يد المسلمين.

إن أول رحلة إنجليزية تفاعل صاحبها مع الجزائر، تعود للرحالة دالام*Dallam*[6]سنة1595، ويصف الرحالة وصوله أمام سواحل مدينة الجزائر؛ فيقول: "هذا اليوم هو آخر يوم من شهر مارس، لقد إنبهرنا بالربيع: فالأشجار مكسوة بالخضرة، الحبوب، القمح، الشعير، وتفاح وبرتقال ما يزال على الأشجار". ويذكر أن المدينة تتميز بالضجيج. ويصف القرى المجاورة بقوله: "لقد التقينا بالجزائريين وأناسا آخرين يسوقون حميرا محملة بالفاصولياء"[7]. كما يذكر أن أحد الأتراك قال له: "إن الأتراك لا يشربون شيئا،

---

[5]Nabil Matar, "*English Accounts of Captivity in North Africa and The Middle East: 1577-1625*", Renaissance Quarterly, 54, 2001, p558.

[6]يعتقد المؤرخ براندون باك أن الملكة إليزابيث الأولى هي من أرسلتدالاممع الهدايا، إلى السلطان محمد الثالث سنة 1595بعد تعيينه على رأس السلطة. إن لغة مخطوط الرحلة صعبة جدا فالكاتب كان في المتوسط يقترف ثلاثة اخطاء في كل خمسة كلمات. مثلا: "the sightwhereof didalmostmake me to thinkthat I was in a different world' for 'the sightewhearofdidmake me almoste to thinkethat I was in anotherworlde"

[7]Gerald M. MacLean, The Rise of Oriental Travel, English Visitors to the Ottoman Empire, 1580–1720,Great Britain: Ed. Palgrave Macmillanp, 2004, 14-15.

سوى الماء"، ويقول عن النساء المسلمات: "إن كل النساء التركيات والجزائريات، يمشون في الشارع ووجوههن مغطاة".[8]

العلاقات الانجليزية الجزائرية الرسمية 1581–1620: سجل الرحالة الإنجليزي فينس موريسون أن السلطان مراد الثالث (1574–1595)، عندما شاهد موقع انجلترا على الخريطة، حدق بها مندهشا وصرخ متعجبا "لماذا لم يأخذ الملك الإسباني محراثا، ويستخرجها من الأرض ويرميها في البحر".[9]

إن العلاقات الجزائرية الانجليزية في الفترة الممتدة بين سنتي 1581–1620، ارتبطت بالعلاقات العثمانية الانجليزية، وهذا ما سنراه في باقي هذا البحث، فولاية الجزائر الغربية[10] كانت تبني علاقاتها الخارجية على ضوء الديبلوماسية العثمانية.

وهكذا نرى أن انجلترا وفرنسا ونيذرلاند المتحدة ،لم تكن تجد صعوبة مع البحارة العاملين بالإيالات المغربية ،طالما كانت هذه الدول في حرب أو في عداء مع الممالك الاسبانية، ولكن عند ما وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع "العدو" فإن بحارة شمال افريقية توقفوا عن النظر إليهم كحلفاء،وسرعان ما استولوا على السفن التجارية التي تعود إلى

---

[8]Ibid, p15.

[9] Christine Woodhead, ‘England, the Ottomans and the Barbary Coast in the Late Sixteenth Century’, State Papers Online, 1509–1714, Cengage Learning, Reading, 2009, p01.

[10] بلغ عدد سكان الجزائر خلال القرن السابع عشر حوالي مائة ألف ساكن، أكثر من سكان جنوة، مارسيليا، برشلونة، وليغورن.ينظر:

SuraiyaFaroqhi, HalilInalcik, The Ottoman Empire and its HeritagePolitics, Society and Economy, Ransom Slavery along the Ottoman Borders (Early Fifteenth–Early Eighteenth Centuries), Vol37, Boston: Brill, 2007 p224.

أصدقائهم السابقين، و"استرقوا طواقمها".[11]وسنرى أن تأثير الباب العالي كان لا يزال مستمرا، خلال النصف الاول من القرن السابع عشر،لكن بتأثير محدود على الجزائر.

تعود أولى العلاقات الرسمية المباشرة، بين العثمانيين وبريطانيا العظمى إلى الرسالة التي أرسلها السلطان مراد الثالث، إلى الملكة إليزابيث الأولى بتاريخ1579/03/20، وتتضمن أولى ا لامتيازات الانجليزية في أراضي الدولة العثمانية، قائلا: "بلادنا كانت دائما مفتوحة لكل من أعدائنا وحلفائنا؛لكن وبعدم اأعلمنا بأن سيادتكم ترغب في بناء عاقات وطيدة معنا، فإن بلادنا ستبقى دائما مفتوحة لمواطنيكم... وأن سفنكم التجارية سواء تلك الكبيرة أو الصغيرة منها ستكون آمنة في نطاق سيطرتنا، عند قدومها ثم عودتها إلى انجلترا ثانية... وكحلفائنا وأصدقائنا الفرنسيين والبنادقة والبولنديين وملك ألمانيا، وكل جيراننا،لتجاركم الحرية في القدوم والعودة مرة ثانية إلى أوطانهم، حيث لهم الحق في تحميل ما يشاؤون من سلع تجارية كباقي المسيحيين؛ شرط عدم الإخلال بالنظام".[12] وقد ردت عليه الملكة إليزابيث برسالة مماثلة، رحبت فيها بالعلاقات بين البلدين، كما شكت للسلطان تعرض مواطنيها للأسر من قبل البحارة العثمانيين، طالبة منه العمل على إطلاق سراحهم.

هذه المحادثات قادت إلى تطور العلاقات بين الطرفين، ففي ماي 1581 منح العثمانيون جواز سفر لتجار إنجليز، للمرور في البحار والموانئ الخاضعة في للنفوذ العثماني، سواء تلك الواقعة على شرق أو شمال إفريقيا.[13]

[11] جون. ب. وولف، ص243.

[12] Richard Hakluyt, The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over-land, South and south-East parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years... exc. 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599.

[13] Christine Woodhead, op.cit., p01.

وأدى هذا الخطاب أيضا إلى تأسيس شركة المشرق سنة 1581، بتفويض من الملكة إليزابيث الأولى، واستمرت هذه الشركة في السيطرة على التجارة بين الشرق وانجلترا إلى غاية حلها سنة 1825، وكانت شركة المشرق أولى الشركات التي أسست في فترة التوسعات الأوربية، حيث يمكن مقارنتها بشركة فرجينيا، والشركة الناجحة شركة الهند الشرقية. وما ميّز هذه الشركات أن ملاكها كانوا يقومون بدعمها من إنجلترا، ويتقاسمون الأرباح التي يحصل عليها وكلاؤهم. وأمّا ازدهار الشركة فقد كان خلال القرن السابع عشر، عندما أصبح الجوخ الصوفي سلعة مطلوبة بكثرة في الأراضي العثمانية والإيرانية، وعند العودة كان وكلاء الشركة يقومون بشراء الحرير الخام الإيراني، ويجلبونه إلى إنجلترا من ***Allepo***وأزمير.[14]

وعيّن أول قنصل إنجليزي في الجزائر من قبل التجار الإنجليز حيث اختاروه من بينهم، ولم يكن للدولة الإنجليزية دور في الأمر. وقد عمل القنصل جون تيبتون ما في وسعه على حسب الإمكانيات المتوفرة، وهذا حسب رواية تعود للشركة التركية (شركة المشرق) مطلع سنة 1580. وفي فيفري 1583 راسل جون تيبتون السفير الإنجليزي في اسطنبول السيد ويليام هاربون، يعلمه فيها عن رسالته التي كتبها في نوفمبر سنة 1582، والتي توسل فيها حاكم الجزائر احترام جواز السفر الممنوح من قبل السلطان العثماني وإعطاء الأوامر لقباطنته بعدم التعرض للسفن الإنجليزية في المتوسط. لكن الباشا رد على تبتون بأنه لن يقوم بحماية السفن الانجليزية من قراصنته؛ بل بالعكس فهو واثق من أخذ بعضها هذه السنة.[15]

قد رد السفير الإنجليزي عن هذا الاستفزاز، بإرسال السيد إدوارد بارتن (***Edward Barton***)مع أحد الشواش الأتراك، يحمل ثلاث وصايا باللغة التركية، ونسخة باللغة الانجليزية، وفي النهاية أصبح بإمكان السفن الانجليزية التحرك في البحر الأبيض المتوسط،

---

[14]GáborÁgoston, Bruce Masters, Encyclopedia of the Ottoman Empire, New-York: Facts On File Inc, 2009, p332.

[15]Playfair, E. L, The scourge of Christendom, Annales of British relations with Algiers prior to the French conquest, London: Smith, Elder, And Co, 1884, p88.

دون مضايقات من السفن الجزائرية؛ التونسية أو الطرابلسية (لقد كانت تونس وطرابلس خاضعة للنفوذ الجزائري)؛ شرط أن تظهر السفن الانجليزية جواز سفرها لبحارة الجزائر.[16]

وفي سنة 1583 منح حاكم الجزائر جواز سفر لأحد التجار الانجليز جاء فيه:" نحن نائب مملكة الجزائر حسان آغا، منحنا التاجر توماس سينغلتون وبحارته جواز سفر، يسمح لهم بالابحار في المتوسط بكل حرية... ونأمر بحارتنا وقادة المشرق بعدم التعرض لهذا التاجر،إن صادف و التقيتم به في بحار جنوة، فرنسا، نابولي، البليار وسردينا... وقعت في قصر الداي بتاريخ1583/06/23".[17]

قام الإنجليز بعد هذا بتعيين تيبتون كأول قنصل إنجليزي في الجزائر، تونس، طرابلس، بعد أن كان سفيرا لشركة الشرق الأوسط في اسطنبول، وهذا بأمر ملكي ما أعطى منصبه هذا رسمية، عكس ما كان عليه عندما كان في اسطنبول.

وفي سنة 1585 تأسست شركة الساحل البربري؛ مدعومة من قبل العديد من المستثمرين الإنجليز، وكانت المسيطر الرئيسي على التجارة بين إنجلترا وساحل المحيط الأطلسي المغربي؛ وفي سنة 1592 اندمجت شركة الشرق الأوسط مع شركة البندقية التي تأسست سنة 1585، حيث استمرت هذه الشركة في السيطرة على التجارة الإنجليزية العثمانية إلى أوائل القرن التاسع عشر.[18]

وتعود هجمات البحارة الجزائريين ضد التجارة الإنجليزية، وأسر المواطنين الانجليز والاسكتلنديين الواقعين بأيديهم؛ إلى أوائل القرن السادس عشر باعتبار أن الإنجليز كانوا يعتبرون أعداء فهم لم يوقعوا معاهدة صلح وتجارة مع العثمانيين تكفل لهم حرية التحرك في المتوسط. ومن بين العديد الذين أسروا، هناك حاكم أليفنت (Master of

[16]Playfair, E. L, op.cit., p27.

[17] Richard Hakluyt, op.cit., p

[18] Christine Woodhead, op.cit., p01.

(**Oliphant**، وحاكم مورتون(**Master of Morton**) اللذين وقعا في أيدي الجزائريين، وبقوا عدة سنوات في الأسر.

وفي سنة **1582** قام روبيرت أوليفنت بإرسال عرائض إلى الملكة إليزابيث الأولى، يحثها على مساعدته بإرسال حملة ضد مدينة الجزائر، وحتى سنة **1589** كانا لا يزالان أسيرين في الجزائر، وقام السير وليام هادسون بمراسلة السير فرانسيس والسينغاميعلمه رغبة السفير الاسكتلندي ملومات في الحصول عن معلومات عنهم. وفي سنة **1537** توسل القسيس غريندل(***Grindall***) السيد سيسيل للسماح لهم بجمع تبرعات لافتداء الأسرى الإنجليز، وفي سنة **1583** سمحت الملكة إليزابيث إرسال بعثة نحو الجزائر، تحت قيادة إدموند أنسل (***Edmund Auncell***) وريتشارد ثومسون (**Richard Thomson**) وآخرون، في سفينة تسمى الوحدة لافتداء الأسرى الإنجليز.[19]

معركة الأرمادا والتنامي الإنجليزي في البحر المتوسط **1588**:

ولد فليب الثاني الملك الإسباني خمس سنوات قبل الملكة إليزابيث وتوفي قبلها بخمس سنوات، وتزوج من أختها رغم أنهما كانا مغرمين ببعض، حيث تذهب إحدى الروايات إلى أكثر من هذا، عندما قال صاحبها: "كان هناك لقاءات خفيّة بين فيليب وإليزابيث الأولى".

لفهم العلاقات الجزائرية الإنجليزية على القارئ أن يفهم الولوج الإنجليزي إلى البحر المتوسط، وكان يحتاج الدخول الإنجليزي للبحر المتوسط، القضاء على الهيمنة الإسبانية، التي كانت تجتاح أوربا الشمالية، فبعد المساعدات التي كانت تقدمها انجلترا للثوار الهولنديين الذين كانوا يخضعون للنفوذ الاسباني، وجه فليب الثاني أنظاره للسيطرة على إنجلترا.

وحدثت معركة الأرمادا بين إسبانيا وانجلترا بالقرب من القنال في **20** جويلية**1588**، وقد ضم الأسطول الاسباني **130** سفينة؛ أغلبها من الحجم الكبير، تحت قيادة دوق مدينة

[19]**Playfair**, **E**. **L**, **op**.**cit**., **p30**.

سيدونيا(*Duke ofMedina Sidonia*)، وضم الأسطول الانجليزي **197** سفينة، **34** سفينة منها فقط تعود للملكة الإنجليزية إليزابيث الأولى. وكان قائد الحملة هو اللورد هاورد إنجليشمان، يساعده القرصانين دراك وهاوكين.[20]

وراسلت الملكة إليزابيث الأولى جيشها، بتاريخ **19** جويلية**1588**، وهذا لرفع معنويات جنودها المتواجدين على أرض المعركة:"ويرجع مؤرخو الملك فليب الثاني سبب الحملة، إلى غارات السلب التي يقترفها القراصنة الإنجليز ضد التجارة الإسبانية... وقد رأى أحد الكاثوليك المكلف من قبل السيد ألين، كجاسوس من الحكومة الإنجليزية (كان كاثوليكيا)، في رسالته رغبته في استرضاء الملكة إليزابيث للبابا الكاثوليكي... وهذا بعدما شاهده من قوة الحملة الإسبانية المجهزة ضد بلده، وفي هذا يقول أحد المعاصرين لتلك الفترة، وهو الدكتور لينغارد: "في هذه المدينة (مدريد) والبلد هناك العديد من المصلين، المتضامنين، الصائمين، والتبرعات لإنجاح هذه الأرمادا، فهذه قضية الله الآن أكثر من أي مرة أخرى".[21]

وجرت المعركة بالقرب من القناة الإنجليزية، حيث دمرت وأحرقت العديد من السفن الإسبانية، التي كانت ضخمة بحيث يصعب عليها المناورة، وعندما قرر دوق مدينة الفرار نحو الأراضي المنخفضة، بدأت العاصفة التي حطمت أغلب السفن الإسبانية على السواحل الاسكتلندية والايرلندية.

منحت معركة الأرمادا حرية أكثر للإنجليز للدخول إلى المتوسط، وأكثر من هذا فقد أصبحوا الأصدقاء المفضلين للجزائر، باعتبارهم أعداء لإسبانيا، وحتى القراصنة الإنجليز نشطوا خلال هذه الفترة بشدة، ففي سنة **1600**، كان الداي مسرورا ومرحبا بأحد القراصنة الانجليز الذي يدعى قريفون(*Griffon*)، بعد أن جلب إلى المدينة غنيمة تحتوي مواد

---

[20] **Thomas Benfield Harbottle**, ***Dictionary of Battles, From the*** **Earliest Date to the Present Time, London:Swan Sonnenschein& Co., 1901, p19.**

[21] **Rev Thomas Lathbury, The Spanish Armada, A.D 1588; or The Attempt of Philip 2 and Sixtus 5 to Re-establish popery in England, London: Jhon W. Parker, West Strand, 1840, p16.**

وسلع، تخص أعدائهم الإسبان... أيام قليلة بعد ذلك، ظهر قبطانين إنجليزيين أمام سواحل مدينة الجزائر، وادعوا أنهم من لندن، محملين "بالصوف والخشب البرازيلي"، حيث استقبلهم الجزائريون بحفاوة.[22]

ويذكر ألبيرت تينانتي ***AlbertTenenti*** (1580–1590): "لا يوجد ميناء ولا ساحل يتبع العالم الكاثوليكي، هرب من الهجمات"[23]. تعرضت اسبانيا سنة **1580** لمجموعة من الهجمات قادها بحارة الجزائر. وشهدت أوجها سنة **1584**، عندما أعلن حاكم فالنسيا كل السواحل الخاضعة لنفوذه تعتبر منطقة حرب ***War Footing***.[24]

وفي ديسمبر **1601**، راسل حاكم فالنسيا الملك الإسباني، وأبلغه عن وجود خمسة سفن جزائرية على ساحل سانتا دي بولا قبالة السواحل الفالنسية، وقد نفذوا غارات بحرية وهاجموا السفن التجارية، وأن السكان أصيبوا بالحمى لوجود السفن الجزائرية. كما أن الموريسكيين يساعدونهم في أغلب هجماتهم على سواحل فالنسيا، وعبّر عن ضرورة الاسراع في التخلص من خطرهم.[25]

تصدع العلاقات الجزائرية الإنجليزية 1600–1620:

إن أول رسالة بين الجزائر وإنجلترا، هي تلك الرسالة التي كتبها حاكم الجزائر إلى الملكة إليزابيث الأولى، بتاريخ **20** ديسمبر **1600**، يوضح لها رغبته الكبيرة في تطبيق

---

[22] **Gerald Maclean, Nabil Matar, Britain and The Islamic World, 1558–1713, New York: Oxford University Press, 2011, p22.**

[23]**Ellen G. Friedman, "North African Piracy on the Coasts of Spain in the seventeenth Century: A New Perspectiveon the Expulsion of the Moriscos", The International History Review, Vol.01, No.01, Jan 1979, P2.**

[24]**SebastianGarciaMartinez, Bandolerismo, piratería y control de moriscos en Valencia durante el reinado de Felipe II, Valencia: 1977, pp. 69–7 1**

[25]**Ellen G. Friedman,**

أوامر السلطان القاضية بمساعدة المواطنين الإنجليز في التجارة بحرية في البلاد الجزائرية... وفي **29** أبريل **1602**. حدث أول اتصال بين الحكومة البريطانية والقنصل الإنجليزي بالجزائر، بعد إرسال القائد الأعلى للبحرية الانجليزية رسالة إلى القنصل أبدى فيها استياء الملكة إليزابيث من المعاناه والظلم الذي يلقاه المواطنون الإنجليز، من حاكم الجزائر بعد قدومهم إلى الميناء سواء من أجل التجارة أو الاستراحة. وباعتبار أن القنصل هو الممثل الرسمي للدولة البريطانية، فهو مسؤول عن استخدام نفوذه وإصلاح الأمر مع داي الجزائر؛ كما أنها أعطت أوامرها لتحرير السفينة الإنجليزية ماريغولد وطاقمها، والتي كانت تحمل أكثر من أربعين صندوقا من الصبغ الأزرق، تبلغ قيمتها **1750** دولار.[26]

ومما زاد من توتر العلاقات بين الجزائر وانجلترا، ذلك الصلح الذي عقده الملك البريطاني جيمس الأول مع الملك الإسباني، العدو الأول بالنسبة لبحارة الجزائر، ما أعطى بحارة الجزائر مبررا للهجوم على السفن الإنجليزية. ففي شهر أوت**1604**، توصل الطرفان الإنجليزي والاسباني إلى معاهدة سلام وتعاون، تلزم قراصنة الطرفين بتجنب التعرض للطرف الآخر.[27] وفي نفس السنة عين ريتشارد ألين قنصلا بالجزائر، الذي قام بالفرار سنة **1620** بعد عدم توصل الطرفين إلى اتفاق يرضيهما[28].

وأنتجت هذه المعاهدة استياء كبيرا بين القراصنة الإنجليز، والذين ظلوا وفي وقت ليس ببعيد يهاجمون السفن التجارية الاسبانية، ما كان يكسبهم أموالا ومغامرات كبيرة؛ لكنهم الآن ملزومون بعدم التعرض لهذه السفن، حيث أن العديد منهم تم ضمهم للجيش البري، في حين أن الآخرين ألحقوا بحراسة للقناة الإنجليزية.

.32[26]Playfair, E. L, op.cit., p

[27] A Collection of All The Marine Treaties Subsisting between Great-Britain, Commencing in The Year 1546, and including the Definitive Treaty of 1763, London: Printed for J.Millan, Charing-Cross, 1779, p70.

[28] Alfred Cecil Wood, History of the Levant Company , London , 1935, p61.

ومن بين هؤلاء القرصان الشهير وارد الذي انتهي به المطاف؛ كحارس للقناة الانجليزية. وفي هذه الفترة عين عثمان باشا دايا على تونس، وقام باستدعاء وارد، ومنحه الميناء كقاعدة لعملياته البحرية ضد التجارة الأوربية.

في سنة 1609 إنظم "القرصان" الشهير سيمون دانسر إلى القوات البحرية الجزائرية، وهو الملقب بـ"الشيطان قبطان الجزائر"، وفي سنة 1612 ظهرت المسرحية المشهورة لصاحبها روبرت دابورن، تحت عنوان "مسيحيون أصبحوا أتراكا، أو الحياة التراجيدية وموت القرصانين الشهيرين دانسر ووارد".[29]

وقد قدم سيمون دانسر لأول مرة من منطقة فلينغسسن ونشط خلال الحروب الإسبانية، قبل أن يتوجه نحو مارسيليا مع أوائل القرن السابع عشر؛ وقد زودنا توماس ولتر أحد التجار الانجليز بقصص عنه (بعد سفره في الربيع باتجاه المشرق سنة 1608)، حيث ذكر أن دانسر تزوج بابنة حاكم مارسيليا، لكن بعد خلاف مع سلطة مارسيليا، هاجم إحدى السفن المارسيلية سنة 1607، واستخدمها للاستيلاء على أخرى، ثم غادر ليبيعها بالجزائر وبعد أشهر استقر كقرصان بالمدينة حيث استولى على تسعة وعشرين سفينة إنجليزية، فرنسية، وفلمنكية.[30]

ويقول الدكتور روبيرت دافيس:" في النصف الأول من القرن السابع عشر، حصل"القراصنة" البربر (قراصنة من ساحل المغرب الإسلامي)على جوازات من حكوماتهم للهجوم ضد السفن المسيحية ووصلوا حتى الساحل البريطاني. وبسفن من نوع الشباك اللاتينية وسفن الغاليه، اعتدوا على السفن والبحارة، وباعوهم إلى العبودية. وتسجيلات البحرية الانجليزية أطلعتنا عن تعرض466 سفينة إنجليزية للأسر في الفترة الممتدة بين سنتي1609-1616،كما صرح أحد المؤرخين خلال القرن الثامن عشر وهو جوزيف مورغان "هذا هو الوقت الذي وصل فيه هؤلاء القراصنة إلى ذروتهم ."

---

[29] Adrian Tinniswood, Pirates of Barbary, Corsaires, Conquests, and Captivity, In The Seventeenth– Century, Mediterranean, New York: Riverhead Books, 2010, p27.

[30] Ibid, p28.

وتمكن بحارة الجزائر من أسر 1200 أسير سنة 1617 من ماديرا (جزيرة برتغالية بالمحيط الأطلسي)، و700 فرد من كلابريا بإيطاليا سنة 1636، و1000 سنة 1639، و4000 سنة 1646، وفي سنة 1640 وصلت رسائل إلى لندن تؤكد أن الجزائريين أخذوا 60 رجل، إمرأة وطفل، من سواحل كورنيش جنوب انجلترا.[31]

وتعطي لنا إحصاءات أن الهجوم الجزائري على منطقة بالتيمور (آيرلندا) سنة 1531، خلّف 273 أسير بين رجل، امرأة وطفل، ويقول الأب بيار دان: "بعد أن جلبوا إلى الجزائر، فصلوا الزوجة عن الزوج، والأب عن الطفل... واقتلعت الابنة من ذراع الام، وهي لا تأمل أن تراها بعد الآن".[32]

قائمة القناصل الانجليز في الجزائر 1580-1620:

1- جون تيبتون: (1580-1591)، عين تيبتون من قبل شركة المشرق، التي كانت مسؤولة على تعيين القناصل والسفراء الإنجليز في المناطق التي تخضع للنفوذ العثماني، وقد عمل تيبتون للحصول على جوازات سفر، تسمح للتجار الانجليز بالإبحار في المتوسط بحرية. وفي 30 مارس 1585 تم توسيع نطاق عمله، في كل من تونس وطرابلس.[33] ويبدو أن جون تيبتون هو أول قنصل أجنبي عين في الجزائر، ذلك أن أول قنصل فرنسي مونسيوبونو(*MonsieurBionneau*)سنة 1581.[34]

[31]Robert. C. Devis, Cristian slave, Muslum masters, White slavery in the Mediterranean, the Barbary coast and Italy, Palgrave Macmillan, 2003, p7.

[32]James Coleman," The Barbary Corsairs in Ireland", The Journal of the Royal Society of Antiquaries of Ireland, Fifth Series, Vol.01, N.02, 1890, p167

[33]Alfred Cecil Wood, History of the Levant Company, London, 1935.

[34]Playfair, E. L, The scourge of Christendom, Annales of British relations with Algiers prior to the French conquest, London: Smith, Elder, And Co, 1884, p28.

2- جون أودلاي: *JohnAudeley*، 1598-1606، يحتمل أنه لم يعين أبدا كقنصل في الجزائر بشكل رسمي؛ ولكنه في المقابل كان يسمى "قنصل الملكة".

2- ريتشارد آلان: *RichardAllen* (1606-1620)، وقد فر من مدينة الجزائر في سفينة باتجاه بجاية، ومن هناك إلى ليفورن أين عين كقنصل إنجليزي سنة 1621.[35] ويرى آخرون أنه تقلد المنصب بين سنتي1606-1609، وخلفه في منصبه القنصل جايمسفريزال بين سنتي 1611-1618.[36]

3- ريتشارد فورد:*RichardForde* (1620-؟) عين كقنصل إنجليزي عام بالجزائر من قبل السير روبيرت مانسيل.[37]

الخاتمة:

نلحظ أن العلاقات الجزائرية الإنجليزية، لم تكن تضبط على وقع المعاهدات الإنجليزية العثمانية، فقد ظلت السفن الانجليزية عرضة لهجمات البحارة الجزائريين، ما لم يحملوا جواز سفر موقع من داي الجزائر. وبهذا أصبح الإنجليز ملزمين بالتوصل إلى اتفاق ينهي توتر العلاقات بين الطرفين. ورغم الحملة الانجليزية على الجزائر سنة 1620 إلى أنها كانت فاشلة.

أصبح من اللازم علينا نحن الباحثون، إعادة النظر في فهم العلاقات الجزائرية الخارجية، من خلال أطر جديدة، والابتعاد عن حصرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية؛ حتى أن القارئ ليعتقد في بعض المرّات ان الجزائر كانت ولاية فرنسية أكثر منها عثمانية، من كثرة البحوث التي تناولت العلاقات الجزائرية الفرنسية.

---

[35]**Ibid, p44.**

[36]**- Godfrey Fisher Sir.,Légende Barbaresque : Guerre, Commerce et Piraterie en Afrique du Nord de 1445 à 1830, Tr. Farrida HALLAL, Office des Publications Universitaires, Alger, 2002, P411.**

[37] **Alfred Cecil Wood, op.cit, p66.**